

## من الذاكرة الأحسائية : الرق و العبودية .

اقتناء العبيد :

كان اقتناء العبيد شائعا لدى الحكّام و رؤساء القبائل و التجّار و الأثرياء و العمد ، و يقلّ و يزداد مع حال البلد الاقتصادية ، فيزداد مع الانتعاش و ينكمش في سنوات المحل .

و يعود انكماش عددهم إلى أن المالك يكون مسؤولا عن إعاشة المملوك ، بينما اقتصاديا يمكنه أن يوكل الكثير من الأعمال لعماله محلّية رخيصة و متوفرة دون الالتزام بما يجب أن يوفّره للرفيق .

سوق العبيد :

يقول الحاج علي المرزوق - أبو سعيد- ( أدركت تلك السنوات ، فحينما يعلن عن جلب العبيد ، كان الناس يذهبون للتفرّج ، أو السوم ، و كانوا يعرضون خارج السور من الناحية الشمالية من الفريج الشمالي للهفوف ، - القرية الآن من نقب رسيول قبل أن يثقب في السور ، فكانوا يوقفون سطرًا ، و عليهم الأردنية ، رجالا و نساء ، كان المشتري ، يتفرّج و يفحص سلامة بدن العبد و يفتح فمه و، تعرف المرأة إن كانت بكرًا أو ثيبًا ...و للأسف كان الرقيق يفحص كما الأبقار أو غيرها عند الشراء !!)

و كانت الأمة تُستشار وقت البيع لضمان عدم امتناعها عن العمل أو التسرّي ، و يروي الحاج علي بن أحمد السلطان العلي ، ( أنّه جاء رجل كبير في السنّ وسأل الجارية المعروضة للبيع ، هل تريدني ، سأدلك و سأكسوك ، و البسك الجواهر ، فامتنعت و قالت أريد شابا !!)

مصادر العبيد :

قد يتبادر للذهن عند ذكر العبيد أن المصدر الوحيد للعبيد كان أفريقيا السوداء فقط ، و إن كان العبيد السود يشكّلون الأكثرية ، إلا أن هناك مصادر أخرى أيضا كبلوشستان ، بلاد الكرج - روسيا الاتحادية حاليا - و بلدان وسط آسيا .

حيث كانت هذا النوع من الرقيق يحمل إلى موانئ مثل كراتشي و بومبي في الهند , أو بندر عباس , بو شهر في إيران , و مسقط و غيرها على الخليج .

أما الرقيق الأفريقي فكان من مراكز تصديره المهمة زنجبار .

فيجلبون إلى ميناء العقير , أو يأتون في قوافل , عبر البرّ تخرج من عمان , تمرّ عبر البريمي و تجلب إلى الأحساء .

و كان نقل العبيد يحاط بنوع من التخفيّ , حيث أنه كان تجارة ممنوعة في كثير من الدول الكبرى و على رأسها إنجلترا حينها , بل أنّ القضاء على الرقّ كان من ضمن الذرائع التي تتخذها بعض الدول الاستعمارية للتدخل في الدول الإسلامية حينها .

#### اصطياد العبيد :

ذكر الأخ الحاج حسين بن موسى السليمان , أنه ألتقى بأحد المعتوقين , قبل حوالي أربعين سنة و كان المعتوق هذا في قرابة الستين من عمره , و ذكر له , كيفية اصطياده من موطنه في الساحل الشرقي الإفريقي , حيث كان الخاطفون يقوون بشوي كميات من شحوم الحيوانات , فتجذب رائحة الشواء الأطفال الموجودين في الجوار , فيقتنصهم الخاطفون , و يحملونهم في قوارب صغيرة , توصلهم للسفينة الكبيرة المعدّة لنقلهم لأسواق النخاسة .

و قد يقع في شرك العبودية حتى بعض أبناء العرب , كأن يستأجر صبي صغير للعمل فيسافر مع رب عمله , فيعمد ربّ العمل هذا لبيعه في أحد الأسواق المشهورة كسوق مسقط مثلا , و قد روى لي أحد الآباء أن صبا أحسائيا , حدث له أمر من هذا القبيل , فتعرّف عليه أحد تجّار عائلة القصيمي المعروفين أثناء نزوله في مسقط , وسعى لعتقه بشرائه من الرجل الذي اشتراه .

#### مستوردون و تجّار :

لقد عرف سوق الرقيق , الكثير من مستوردي العبيد , كانت هذه التجارة تمثل إما اختصاصا أو جزء من نشاط أحدهم .

و كان ابن دايل ( تاجر نجدى ) من أهم تجار الجزيرة العربية في الرقيق , و عرف في الأحساء التاجر عبد العزيز العجيان ( له أنشطة عديدة منها استيراد الأقمشة من إيران ) و عيسى العبد العظيم ( له أنشطة عديدة و تجارة مع عمان منها الهيز\* و العبيد والتوابل ) , و رجل من آل مرّة , و رجل من قبيلة العوازم , و

و كان هناك دلال في سوق الأحساء , يسمّى بن قاسم ( مسؤول عن اقتياد العبيد ) و وضعهم في بيت لتحضيرهم للبيع , في السوق .

كان الرقيق من أصحاب المواصفات المرغوبة في الغالب , يصفون و لا يعرضون في السوق , لذا كانوا يعرضون بشكل منفرد على التجار كي يحصلوا على قيم مجزية , أو قد ينقلون لمناطق أخرى إن لم يحصلوا على السعر المناسب لهم .

## أعمال الرقيق :

كان الرقيق عادة يستخدمون في الأعمال المنزلية , في خدمة أرباب المجالس و تقديم القهوة , إعدادها .

و كذلك النساء منهم في الطبخ و تنظيف البيت , حلب الأبقار و العناية بحيوانات المنزل .

كما يقوم بمساعدة رب البيت في أعماله , فكان ملاك النخيل منهم يدرّب رقيقه للقيام بأعمال النخيل كالسقي والتنبيت ( و التآبير ) و التسحيت ( نصد الشوك من السعف ) و البطاط ( جذّ الكرب القديم , هو مهارة متقدّمة ) و غيرها , و قد تفوّق بعضهم في ذلك الأمر كبعث رقيق الشيخ عمران السليم رحمه الله .

وكان بعض التجار يسند لرقيقه أعمال التحميل و التنزيل , و قد يتولّى بعد فترة حتى عمليات البيع و الشراء .

و كما كان البدو يسندون بعض الأعمال التي يحتاجونها كالرعي و الاحتطاب و جلب الماء .

## معاملة الرقيق :

في الغالب يقيم الرقيق في منزل ربّ العمل لذا ، فلهم أحكام خاصّة ففي مسألة التحجّب عنهم إن كانوا رجالا ، أو نساء تختلف عن أحكام الأحرار .

و في الغالب لم تكن معاملتهم عنيفة كما قد يتبادر لذهن الكثير من الناس ، فالرجل المحسن في الغالب ، مسؤول عن إطعامه و كسوته ، و قد يكون له حطوة ، فيحسن له عند كبر سنّه ، و قد يعامل معاملة حسنة ، أمّا المرأة خاصة إذا كان لها دور في تربية أبناء البيت ، فتعامل معاملة الأمّ إذا كبرت .

و قد كان عتق العبيد من أعمال البرّ الشائعة ، فقد يعتق المالك عبده لوجه الله ، أو يوصي بعتقه بعد وفاته ، و عند العتق ، يدفع له رأس مال أو يمنح قطعة من النخيل أو بيت للسكنى لضمان عدم ضياعه بعد عتقه .

و بعض العبيد قد يفوّض من سيده فيكون مضافا يستقبل الضيوف ( يفلّط الرجال )!! و يدعوهم لبيت سيّده ..

يقول - الشيخ حسن بن علي البقشي - بومنير - ( كان في فريجننا عبد يسمّى ( مرزوق ) يملكه التاجر النجدي عبد ربّه آل الشيخ \*.. كان يقف و عند السلام عليه يرحّب جدا و يدعو المسلم للقهوة .. بإصرار . حيث أنّ تقهوى....)

و قد ذكر الأستاذ أمير الرمل هذه الحكاية التي سمعها من المعمّر الحاج عبداً القرقوش ( رحمه الله ) :

أنه في أحد الأسواق الشعبية اجتمع بعض صبيان ( أجراء عمدة القارة ) رحمه الله ) ، عند حراج ( مزايده ) على كمية من البطيخ الحساوي ، و كان هناك و كلاً ما اقتربت المزايده إلى أن تكون من نصيبهم ، كانت هناك امرأة تزايد عليهم ، فقصدوها قائلين :

عمنا السيد عنده ضيوف ، ومحتاجين البطيخ !

فردّت عليهم :

و عمّي عنده ضيوف أيضا ( كان سيدها هو الشيخ علي بن خميس , عمدة بلدة الحليّة )

فزايدت مرّة أخرى , وأخذت البطيخ في القاري معها !

و هذه القصّة تبيّن أنّ الأمة ربما تمتدّت بقدر كبير من التصرف , في شؤون المنزل إذا اعتمد عليه كأحد أفراد العائلة .

و قد أشار لي أكثر من شخص إلى قوة شخصية هذه المرأة و عنفوانها , وثقتها بنفسها , مضافا لعفتها و رزانتها .

و في الغالب يلتزم الرقيق بحسن مخاطبة سيّده فيخاطبه ب( عمّي ) أو سيّدة البيت ب( عمّتي ) و الأولاد ب( عمي فلان ) أو البنات ( عمّتي )

و لأن أغلب الرقيق هم من أصول أفريقية فلا ينطقون العين إلا ألفا ( فيقول ) أمّي بدلا عن عمّي .

و مقابل ذلك يتولّد عن المعاملة الحسنة للرقيق شعور كبير لدى الرقيق بالانتماء , تجاه السيّد حتى بعد تحرّر قد تصل إلى التفدّي بالنفس و هذا أمر شائع في التاريخ الإسلامي و العربي .

لطيفة :

اشترى أحد تجّار الهفوف , أمة سوداء اسمها ( رويدا ) من أحد أسر السادة بالقرى الشرقية لمساعدة ربّة المنزل في أعمال البيت , و كانت كبيرة في السنّ , و محبوبة في قريتها فكان أهل قريتها عندما ينزلون للتبضع في سوق الخميس يزدحمون في بيت ذلك التاجر للسلام على ( رويدا ) فتضطرّ ربّة البيت للطبخ لهم بينما تنشغل رويدا بمجالستهم و الكلام معهم , و صار ذلك الأمر يتكرر كلّ أسبوع , فتضايقت ربة البيت و زوجها حيث تفرّغا هو و زوجته للطبخ و ضيافة ضيوف رويدا التي جيء بها لمساعدة ربة البيت .!!!

أسماء الرقيق :

على عادة العرب القديمة كان يتخذ للرقيق أسماء أقرب حسنة , فمن المتداول أن يسمى الذكور منهم

أسماء مثل ( مرجان ) , ( عنبر ) , ( ألماس ) , ( فيروز ) , و النساء ( أمثال ( مبروكة ) , ( زمرد ) ... وهكذا .

خصي العبد :

يعمد بعض بتجار العبيد لخصي بعض الأطفال الذين كانوا يختطفون من أفريقيا. و غيرها , حيث ينشأون مكتنزي البنية , و مرد الوجوه , و يخصصون في الأعمال التي لها تماسّ مباشر بالنساء ..

زواج العبيد :

إذا لم يكن العبد خصيًّا فإنه , غالباً ما يتزوَّج العبد من أمة مثله , و يتمّ ذلك بمعرفة سيدهما و يعود نتاج زواجهما من أطفال لسيدهما من حيث الملكيةّ , و قد يكون الزوجان لمالكين مختلفين , فيتمّ التصالح بين المالكين حول اقتسام ملكيتهم .

و قد يتسرّى السيّد بأتمه , فتنتعق و تصبح أمّ ولد .

ميراث العبيد :

في حال وفاة مالك العبد فإنه يورث كما تورث ممتلكات الميت الأخرى .

مذهب العبيد :

و نظراً لأن العبد ينشأ في بيئة معيَّنة فإنه يتبع , ديانة و مذهب , المالك , فإذا كان المال سنياً يكون رقيقه سنّيّ و إمّا إذا كان شيعياً فينشأ شيعياً , كل بحسب , تأثره بالمحيط الذي يكون فيه .

لطيفة :

يروى المؤرخ الكبير الشيخ جواد الرمضان ( حفظه الله ) أن هناك أحسائيان يعملان بخياطة البشوت في الدوحة ( قطر ) , و كان أحدهما شديد السمرة قريباً من السواد ضخم الجثّة , و كان الآخر محتالاً , و ينتظر القافلة للتوجّه للأحساء .

فحانت منه التفاتة , لرجل من البدو , فاتجه له و قال له , هل تريد أن تشتري عبدا صحيحا , أنا بايع مرخص !! وأشار لصاحبه , بكم تبيعه فقال بكذا !! و فنقده البدوي المال , انسحب المحتال !!

و اتجه البدوي للرجل الأسمر الضخم و قال له : قم يا ولد أنا عمك الجديد !!!

فتعجبَّ الرجل و قال له : ماذا تقول ؟

فلطمه البدوي , فما كان من الأسمر إلا أن ردَّ اللطمة , و رمى البدوي , وأعمل يديه في بدنه ,, فتجمَّع الناس و عرفوا الحقيقة , و قال الأسمر أنا فلان الفلاني من الأحساء , مخَّيط في المجلس الفلاني !! و فصار البدوي يلطم نفسه على ما حدث له !!!

و قد ذكر الشيخ جواد الرمضان , أنَّهُ لاحظ في إحدى الوثائق أحد العتقاء في مبايعه , فلان الفلاني عتيق آل بن فارس ( الحمولة القديمة المعروفة , التي إليها ينسب فريخ الفوارس بوسط الهفوف القديمة. )

ثمن الرقيق :

من الأشياء التي كانت تحول و انتشار , الاسترقاق غلاء ثمن الرقيق, فيقول الحاج علي المرزوق - أبو سعيد - ( اشترى التاجر النجدي محمد بن صالح عبدا بقيمة 400 ريال كان ذلك في الخمسينيات الهجرية ) .

و قد كان ذلك المبلغ كبيرا حينها .

أبوق الرقيق :

إذا أبق الرقيق - ( إذا هرب من سيِّده ) , كان يتعرض لعقوبات كبيرة جدا , وقد يتعرض للعقوبة أيضا إذا تمرد عن الأعمال التي تسند له , و كانت هذه الحالات نادرة جدا , نظرا للمعاملة الحسنة في الأعمَّ الأغلب لهم في الأحساء .

تحرير الرقيق :

و قد تمّ إلغاء نظام الرقّ و تجريم الإتجار بالبشر , في 8 جمادى الآخر 1382هـ , قام أغلب القبائل و العوائل , بمنحهم أسماء قبائلهم و عوائلهم لمعتوقيههم , و قد يسّر لهم سبل العيش .

ملاحظة في سلوك المعتوقين :

في الغالب يظهر على سلوك المعتوقين , نمط من التدليل لأبنائهم , و قد يعزوه البعض لفترة من الحرمان عانوها في فترة الأسر و البيع , و يرتبط بذلك الأمر أيضا ضعف الرشد في الإنفاق على الأبناء , لذا يندر أن يوجد بينهم من أثرى .

العبودية في الأمثلة الحساوية :

و نظرا لأن العبودية كانت مظهرا مألوفا تناولتها الأمثال الشعبية الحساوية بأمثلة كثيرة نذكر منها :

• لا تورّي العبد بياض سنونك يورّيك حمرة .... . ( و يشتمل المثل على ضرورة أن يضع السيد مسافة بينه و بين رقيقه , لا يتباسط معه كثيرا , كي لا يتجاوز حدود اللّياقة )

• العم راضي , و العبد تحكّه ....

( هنا إشارة إلى أن الرقيق ربما يكون أكثر تشددا , في مصالح سيّده , من السيّد نفسه , و هذا كان سلوكا مألوفا حينها , و حاليا انسحب المثل على تشدد الموظف الصغير مقارنة بالمدير , أو الأجير و السيد في سياقات عديدة ) .

• ليش ما عمّك يكسيك , أجل هو ما يشوف ؟

( هنا إشارة لحال العبد المغموط الحقّ و الذي لا يحصل على قدر كاف من الكسوة , فيسأل العبد لماذا لا يكسوك سيدك , فيتساءل , و هل سيدي لا يرى حالي من البؤس , و كما العادة صار المثل ينسحب في سياقات أخرى أيضا ) .

• عبد و سمع طيران !!

( و هنا إشارة واضحة لميل شريحة من العبيد , للسمرو و المسامرة و ربما كانت هذه الملاحظة واضحة على كثير من ذوي الأصول الإفريقية , وقد أشار إليها قديما ابن خلدون ضمن ملاحظاته على الشعوب الإفريقية في مقدّمته ) .

خاتمة :

نحمد الله تعالى أن انطوت هذه الصفحة , من تاريخنا و حصلت هذه الشريحة على حرمتها كرامتها .